

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تم تحميل هذه المادة من:

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

<http://kotob.has.it>

<http://www.al-maktabeh.com>





## درس من حياة مستشرق مثال من أمثلة الاستشراق الاستعماري (١)

للحاج عبدالله بن نوح  
رئيس هيئة البحوث الإسلامية بجاكرتا  
ومدرس العربية وآدابها بكلية آداب جامعة اندونيسيا الحكومية

مستشرق هولندي شهير وسياسي استعماري . وربما لا ابالغ اذا قلت ان كتبه  
ورسائله ومقالاته عميقة التأثير في اندونيسيا ، لا سيما ما كتبه منها بالهولندية ،  
وخارجها على وجه العموم . لذلك فاني ارى معنى لا يستهان به في الاهتمام بهذا  
الموضوع . اننا لا نزال نسمع همساته من خلال آثار قلعه الذي كان من اقوى الاقلام  
الهولندية واشدها تأثيراً في نفوس المثقفين بالثقافة الغربية .

من هو ؟

اسمه الكامل كريستيان سنوك هرغرونيه ، ولد ببلدة اوسترهوت في اليوم الثامن  
من فبراير ١٨٥٧ ومات في لايدن في السادس والعشرين من يونيو ١٩٣٦ . درس  
في لايدن فلسفة الالهيات واللغات السامية وآدابها . وبعد ما لبث مدة في جامعة

( ١ ) نرجو من القارئ الكريم ان يقرأ تعليق الاضواء في آخر المقال عن

امثلة الاستشراق الاستعماري بتدبر وامعان .



يفهم منها انه اطالع على ما كتبه المستشرق المجري غولد تسيهر ، لا سيما محاضراته عن الاسلام . وفي كتابه « الاسلام » الذي صدر في عام ١٩٢٤ رأيناه بحث قراءة على قراءة محاضرات غولد تسيهر .

كان سنوك مثل غولد تسيهر يذكر نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما كان ذلك اساس بحثه أو نقطة انطلاقه اضطر الى تكلف لبناء احكامه عليه . وفي نفس سنوك يضاف الى هذا الاساس واجبه كرجل متقيد بخدمة الحكومة الاستعمارية .

محاضراته في الولايات المتحدة الامريكية : كتابخانه مدرسه نيشية تم سبق له كما قلنا أن التي محاضرة هناك طبعت في عام ١٩١٦ بنيويورك بعنوان « ديانة محمد » وقد جاء فيها قوله :

ليس في سمعنا ان نعلم بالضبط من الذي بواسطته اطلع محمد على ما في كتب اليهود والنصارى . قد يكون ذلك من اشخاص مختلفين وفي غضون وقت طويل . ان الذين ارضوا حب استطلاعهم لم يكونوا علماء وإلا لم يمكن تفسير تلك الافكار المضطربة لاسيما في بدء الوحي ، بشأن ما بين اليهود والنصارى من العلاقات . افكار مضطربة بين مريم اخت مرسى ومريم ام عيسى ، بين طائوت « شارل » وجدعون ، واخطاء حول العلاقة بين ابراهيم واسحق واسماعيل ويعقوب ، يمكن انها تصورات خاطئة من قبل محمد نفسه الذي لم يحتطم الاحاطة بهذا الموضوع الغريب . ولكن تصويره لليهودية والنصرانية ولعدد من امور الوحي الاخرى المتفقة في مضمونها والمختلفة في المكان والوقت وفي تعيين الرسول الذي جاء بها الناس هذه الفكرة التي تجري كخيطة قرمزية من الاول الى الآخر للحنوات الارلى الاثنتي عشرة من سني وحي نبوة محمد ليس في الامكان ان تكون لو كانت معرفة ودية بينه وبين يهود ونصارى علماء . وفضلا

عن ذلك فان الاوصاف والقصص المتأخرة عن كتب التوراة مما يتضمنه القرآن بشأن ماضي الانسان تقوم على اصل عامي ولا سيما بخصوص الاساطير النصرانية والاخبار الآتية من خارج الكنيسة الكبرية الى آخر ما قال « ص ٣٠ - ٣١ » وقال في ص ٣٣ :

ان رواية محمد عن الماضي تتضمن عناصر من الاصل اليهودي اكثر مما هو من الاصل النصراني وهو مجهول عقائد الكنيسة النصرانية . وبالرغم من الولادة الخارقة للمادة فان محمداً يقول ان عيسى لم يكن سوى نبي كموسى . ومع ان عيسى ذو معجزات فاقت معجزات الرسل الآخرين فقد مال محمد اخيراً الى تفضيل ابراهيم عليه من بعض الجهات . ومع ذلك فان تأثير النصرانية على دعوة محمد عظيم جداً . فلولا الفكرة النصرانية عن نهاية تاريخ الانسان والبعث والحساب لما كان لرسالة محمد معنى صحيح ان التوحيد بمعناه عند اليهود وبعد المقارنة قد اتضح لمحمد فصار اساساً للاسلام ورفض ان يكون لله ولد كما كفر بالثالوث .

هذا الكلام كله معقول ان يصدر من مسيحي عامي لم يعلم شيئاً عن الاسلام إلا ما أوحى به روح الحروب الصليبية . ولكن سنوك كما قلت لك رجل سياسي استعماري وإلا فلماذا ترك اولاده يمتنعون الاسلام . وفي المحاضرة سلك الرجل مسلك استاذ غولد تسمير الذي بنى جميع ابجائه على اساس الكفر بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فاضطر الى ان يقول ما قال من المفتريات . انه اعترف - خوفاً من التعدي - بانه لا سبيل الى معرفة الاشخاص الذين بواسطتهم اطلع عليه الصلاة والسلام بزعمه على ما في كتب المهدين . فالكلام مبني على دعاوي بدون يدانة ، يقول سنوك كما قال امثاله ان في القرآن اختلاطاً بشأن مريم « بكسر الميم » اخت موسى ومريم « بفتح الميم » ام عيسى عليها الصلاة والسلام

وكذا بشأن طالوت وجددعون وحول ابراهيم واسحق واسماعيل ويعقوب .  
ثم ادعى بان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتصل بيهود ونصارى ليحوا  
علماء وهو مجرد دعوى فقط واذا خالف القرآن بعض ما جاء في كتب اليهود  
والنصارى وجب ان يكون في نظره او في نظر مخدميه هو الخاطيء . فالماقصود  
تكذيب محمد باى وسيلة لأن مصلحة قوم معينين تقتضي ذلك .

كلا لا اختلاط ولا اضطراب في القرآن ابداً لا بشأن ام عيسى ولا غيرها  
القرآن يقول ان عيسى امه مريم والحديث النبوي يقول ان مريم امها حنه اما  
ابوها فعمران « عمران آخر غير عمران والد موسى » وهو من آل عمران .  
وقصة طالوت « أو شاول » مذكورة في القرآن في السورة الثانية البقرة  
الآية ٢٤٩ . اى اختلاط فيها ؟ كل ما ذكره هو أن طالوت قال لقومه ان الله  
مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني إلا من اغترف غرفة  
بيده . انه شك في بني اسرائيل فقد كانوا من قبل كارهين لملكه عليهم واراد  
ان يعلم المطيع من العاصي فان طاعة الجيش للقائد من شروط الظفر ولم تذكر  
كتب اليهود هذه القصة إلا انها ذكرت قصة مشابهة لها وهي ان جددعون اختبر  
قومه كما جاء في الفصل السابع من سفر القضاة هكذا :

وقال الرب لجددعون ان الشعب الذى معك كثير علي لأرفع المديانيين بيدهم  
لئلا يفتخر علي اسرائيل قائلاً يدي خلصتني . والآن ناد في اذان الشعب قائلاً  
من كان خائفاً ومرتعداً فليرجع وينصرف من جبل جلعاد . فرجع من الشعب  
اثمان وعشرون الفا وبقى عشرة آلاف . وقال الرب لجددعون لم يزل الشعب  
كثيراً انزل بهم الى الماء فانقيهم لك هناك ويكون أن الذي اقول لك عنه هذا  
يذهب فهو يذهب معك وكل من اقول لك عنه لا يذهب معك فهو لا يذهب  
فوزل بالشعب الى الماء . وقال الرب لجددعون كل من يبلغ بلسانه من الماء كما يلغ

الكلب فأوقفه وحده وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب . كان عدد الذين  
ولغوا ييدهم على فمهم ثلاث مئة رجل وأما باقي الشعب فجنوا على ركبهم لشرب  
الماء . فقال الرب لجدهون بالثلاث مئة رجل الذين ولغوا اخلصكم وارفعم المديانيين  
ليدك . وأما سائر الشعب فليذهبوا كل واحد الى مكانه

ولم يذكر القرآن شيئاً عن جدهون وهما قصتان ان صحت قصة جدهون .  
فان جدهون اختبر قومه بعين الماء بينما طالت ابتلى جنده بنهر . وقد اتضح  
من كتبهم ( اليهود والنصارى ) ان نهر الاردن هناك فقد جاء في الآية السابعة  
من الفصل الثالث عشر من كتاب صموئيل الاول انهم عبروا نهر الاردن  
واما ما يتعلق بابراهيم واسحق واسماعيل ويعقوب فانما هو مسألة تاريخية قائمة  
على الظن والرواية مع العلم بان القوم خاطوا في تاريخهم واكثره لا يعرف كاتبوه  
ولكن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم قد علمه بواسطة الوحي الالهي الذي  
جاء لتصحيح الاخطاء والغاء المفتريات

والقرآن كوثيقة خالدة من عند الله تعالى انما جاء لتصحيح والتجديد  
وهذا ضروري بعد ما فقدت الكتب المقدسة اصليتها بسبب النسيان ( والضياع  
والتحريف بشهادة التاريخ والواقع وباعتراف المحققين من اهلها .

واما ما يتعلق بخلق الانسان فقد ذكر القرآن منه ما لا يتنافى مع يقين العلم  
وواقع التاريخ ويتضمن اشارات حكيمة الى امور خفية ومساائل ربما يساعد على  
كشفها تطور العلم والفهم في المستقبل .

مثال آخر من مكائده :

في عام ١٩١١ اصدر كتاباً بالهولندية سماه « هولندا والاسلام » يقول في  
الصفحة الحادية والستين منه ان الشريعة الاسلامية انما تصلح لحضارة القرون  
الوسطى لا للعصر الحديث فان تمدد الزوجات والتساهل الكبير في روابط الزواج

وضمف المرأة امام ظلم الرجل مثلاً كل هذه تعوق النمو الطبيعى للأسرة  
هكذا يقول .

هذا في ضمن اعمال منظمة لابعاد الاندونييسي المثقف بالثقافة الغربية عن  
الاسلام وتنغبره من شريعته طبقا لسياسة الاستعمار ومقاصد التبشير في اندونيسيا  
والا فليس من الممقول ان يجهل مثله ان الاسلام لم يفرض على احد تعدد  
الزيجات ولا حث الناس عليه نعم لم يجره اذا توفرت شروط اهمها العدل وحسن  
العشرة وذلك لمصلحة المرأة نفسها اولا والمجتمع عموما وقد كتب الكتاب كثيراً  
عن هذا ودافع عنه حتى الغربيون انفسهم اعني المنصفين منهم .

ان العلاقة بين الرجل والمرأة يمكن قسميها الى خمسة : احدها تحريم  
الاتصال الجنسي بينهما مطلقاً وهو مناقض للطبيعة وفيه هلاك الفرد والمجموع .  
الثاني : اطلاق الحرية في ذلك بلا قيد ولا شرط وفيه الفوضى وانتهاك الحرمات  
وفشو الامراض الجنسية الخطيرة ورجوع الى البهيمية الجاهلية . الثالث : تقييد  
الزواج بنظام وقيود وشروط ثقيلة وفيه تكثير عدد الايامى من النساء وفتح  
لابواب سرية اول ضحاياها النساء ايضا وكثرة اولاد غير شرعيين يعدون  
بالملايين .

والرابع : تحديد جانب الحلال الى حد التضيق الى جانب التساهل والتغاضى  
فيما يختص بالحرام وحث الجنسيين على حرية الاختلاط مع الاكثار من اصدار  
الكتب والمجلات الخليعة وعدم التحرج من ابداء العورات الفاجرة وهذا يسبب  
شعور الرجل بعدم الحاجة الى الزواج ( كنت مرة على سفينة هولندية فجرى  
بينى وبين شاب هولندي حديث مألته فيه عن سبب تأخره عن الزواج فاجاب  
بكل صراحة قائلاً ان في استطاعتي ان احصل بسهولة في كل يوم على امرأة جميلة )  
الخامس : توسيع جانب الحلال مع تضيق جانب الحرام بل افعال جميع الابواب



الموصلة اليه وهذا افضل الافسام وهو الذي اختاره الاسلام  
وهناك مسألة الطلاق كان الغربيون ينقصونه من الاسلام ثم شاع فيهم  
بصورة منذرة والاسلام يتلخص موقفه منه في انه ابغض الحلال الى الله تعالى  
لولا انه قد يكون ضرورة في بعض الاحوال وقد كتب الكتاب في هذا  
ما فيه كفاية .

واخيراً من قال ان الاسلام اباح للرجل ظلم المرأة ؟ ولكن الاستعمار الذي  
يخدمه الاستشراق الرسمي لا يسره ان يقوم مجتمع مسلم حقيقي .  
هذا وربما نعود الى هذا الموضوع ان شاء الله .

## تعليق الاضواء على امثلة الاستشراق الاستعماري

١ - القرآن - وكتب المهديين

١ - يعيل المستشرقون - بدافع من احقاد الصليبية ومطامع الاستعمار -  
الى جعل المقياس لصحة ما جاء في القرآن الشريف من الحقائق التاريخية موافقته  
لما جاء في التوراة والانجيل المعاصرين ، هذا مع ان دراسة ظروف وجود هذين  
الكتابين بحالهما الحاضرة تسلم الباحث الى القطع بسقوط قيمتهما الدينية والعلمية  
التاريخية والمستشرقون هم اول من يعرف ذلك ، ولكن احقاد الصليبية ومطامع  
الاستعمار كما قلت تدفعهم الى تجاهل هذه النقطة الاساسية عند المقارنة بين  
القرآن وبين كتب المهديين .

\* \* \*

يتجاهل - سنوك - الحقيقة البادية للعيان وهي أن محمداً ( ص ) نبي موحى  
اليه ، ويَزعم أن نعمة اشخاصاً من اليهود والمصري أخ - ذ منهم النبي ( ص )

• معلوماته التاريخية ولكن من هم هؤلاء الاشخا ص؟ ومن الذين اتصل بهم محمد (ص) ؟ وكيف اخذ عنهم ؟ ان هذه المسائل قد بحثت باسهاب وتعمق بالغين وقد ادت الابحاث دائماً الى نتيجة سلبية واحدة وهي ان محمداً (ص) لم يتصل اتصال تعلم واخذ بأحد على الاطلاق وعلى هذا تسقط فرية الاستشراق التي ردها سنرك بان الاسلام قد تأثر اليهودية والنصرانية .

٢ - لقد فقد كل اثر منظور للتوراة على اثر استيلاء نبوكد نصر على بيت المقدس سنة ٥٨٦ ق م وقد بقي من سلم من القتل من اليهود في الاسر البابلي الى سنة ٥٧٢ ق م حين رجعو الى فلسطين بمعوة كورش ملك فارس وبعد رجوعهم جمع الشخص المدعو عزرا كتب العهد القديم وصححها وهي التوراة الموجودة اليوم . فبين ضياع التوراة وجمعها ثانية اكثرت من قرن وربع قرن قتل خلال ذلك حفظتها أوماتوا في الاسر حيث كان محرماً عليهم القيام بأي نشاط ديني . ثم : من هو عزرا هذا الذي اعاد جمع التوراة بعد هذه المدة الطويلة من الضياع والنسيان ؟ وكيف اطلم على اسفارها وما مدى أمانته في النقل وثبته فيه ؟ وكيف صحح الاغلاط الدخيلة على التوراة بعد ضياعها هذه المدة الطويلة ؟ وما هي المصادر التي استند اليها في تصحيحه للتوراة ؟ .

هذه الشكوك التي نحوم حول التوراة الدائرة اليوم حملت قسماً من المؤرخين الغربيين على انكار وجود نبي الله موسى (ع) وما الحق به من عقائد . . وبعد هذا يأتي المنتشقون ومنهم - سنوك - فيجعلون في التوراة حكماً على صحة ما جاء في القرآن .

٣ - وتاريخ (العهد الجديد) الانجيل ليس أحسن حالا من التوراة . فانجيل مرقس ومتى ويوحنا ودوقا هي المصادر الأساسية للمسيحية ولم بدون منها شيء على عهد المسيح على الاطلاق . وقد كتب انجيل متى سنة ٣٨ أو ما

بين ٥٠ م و ٦٠ م لقد كتب بالعبرانية ثم ترجم الى اليونانية وهي الترجمة الدائرة اليوم ، ولكن الاصل العبراني مفقود والمترجم عنها الى اليونانية غير معروف . وانجيل مرقس كتب سنة ٦١ م . وانجيل لوقا كتب بعد انجيل مرقس بزمان . وانجيل يوحنا كتب بناء على التماس من اساقفة آسيا وغيرهم سنة ٩٦ م وبعضهم يراه من تأليف طلاب مدرسة الاسكندرية وبعضهم يرى انه الفه شخص مجهول في ابتداء القرن الثاني للميلاد ونسبه الى يوحنا ومتى هو اقدمها وقد عرفت ان الاصل العبراني مفقود وان الترجمة اليونانية قام بها شخص مجهول فهذا الانجيل الذي كتب بعد المسيح بمسدة تزيد على ربع قرن والذي ترجم من قبل شخص مجهول هو المستند الاساسي للمقيدة المسيحية الحاضرة . وقد كشفت الدراسات الحديثة ان العقائد الاساسية في المسيحية كعقيدة التثليث والفداء وما اليها ليست سوى عقائد وثنية يجتمع عليها وثنيوا الهند والصين والمصريون القدماء وغيرهم والمسيحية المعاصرة ليست الا وثنية مغطاة بساتر الوحي المزور . وهذا هو الذي حمل كثيرا من علماء التاريخ على إنكار وجود المسيح والزعم بانه شخص خرافي وليس شخصا تاريخياً (١)

ان ما ذكرناه يكشف عن ان التوراة والانجيل الحاضرين لا يصلحان المرجوع اليها ابدأ فان طرفاً من الشكوك يحوم حول صحة جسيم ما جاء فيها من الناحية الدينية والتاريخية . ولذلك فليس من العلم في شيء ان يكونا مقياساً للحكم بصحة ما جاء في القرآن الكتاب المنزل من عند الله ، والذي لم يحرف ولم يبدل حتى يوم الناس هذا . وعلى هذا ففي موارد الاختلاف بين القرآن وكتب العهدين يكون الحق والصدق في جانب القرآن . ولولا أن القرآن الكريم صرح بسر وجود موسى وعيسى ( ع ) ونبرتها لكانت هذه الشكوك التي اثارها الغربيون حول وجودها

(١) راجع بحثاً مستفيضاً في هذا الموضوع في تمصير الميزان ٣-٣٢٩-٣٦١

- حسب مصادره في البحث كافية للتشكيك في وجودها عندنا .

\* \* \*

وأما آثاره في كتابه ( هولندا أو الاسلام ) حول الشريعة الاسلامية فقد مثل فيه وجهة النظر الصليبية الاستعمارية ، كما هو شأن الغربيين غالباً عندما يدرسون الاسلام ولو انهم درسوا الاسلام بروح منصفية ومحيدة لما تحاملوا عليه ، بل لا عجبوا به كنظام انساني يصلح لكل زمان ومكان . ولكن ما نصنع والمعاهد العلمية الكبرى في اوربا وامريكا تدرس الاسلام بروح صليبية على ما صرح به الدكتور ( هلمر رنكرن ) في مقاله

والغربيون يتصورون ان النظام المثالي هو النظام الذي اتبعوه لأنفسهم صارفين النظر عن النظام الاسلامي تحت ضغط احقادهم التاريخية ومصالحهم الاستعمارية ويكفي الدلالة على ما نقول ان القضايا التي اثارها سنوك في كتابه عن هولندا والاسلام حول مسألة الطلاق .

قد اضطرت المجتمعات الغربية للتخلي عن وجهة نظر الكنيسة المزمته فيها فباحث الطلاق على اوسع نطاق ، وبذلك تعادت تفريط الكنيسة بافراط انظمة الطلاق الحديثة ولو بحث سنوك الآن لما نعى على الاسلام ( تساهله ) في روابط الزواج وانما لنعى عليه ( تزمته ) في هذه الروابط بالقياس الى ما عليه الحال الآن في العالم الغربي . ومسألة تعدد الزوجات تشريع جعل لصالح المرأة والمجتمع ، والدراسات الحديثة كشفت عن هذا بوضوح ولو لم يكن فيه من مصلحة إلا حايولته دون انتشار الزنى والعهر بين النساء لكفى .

ومسألة ظلم الرجل للمرأة في النظام الاسلامي كذب واقتراء على الاسلام والحكم في ذلك هو النصوص الاسلامية الخاصة بهذه المسألة وهي تضمن للمرأة -

## المجتمع المسلم هيكل واحد

اسلامنا محبة وتعاون وايتار :

ان من اهم ما يبدو للنظر الى القرآن المجيد وهو يضع قانون الترابط الاجتماعي هو الايتار والمحبة والتعاون ، ويبدو هنا قانوناً زاهياً بثوبه الفطري فكل منا يدرك انه يحتاج الى غيره ولا يمكنه ان يعيش بنفسه لنفسه فحسب ، فالافراد عاجزون عن ايجاد جميع الحلول لمشاكلهم التي تمر في حياتهم ، فلا بد لهم لأن يعيشوا ان يعملوا مجتمعين ، ولا يكون هذا ، وان يكون إلا ان يرسوا قواعد المجتمع على المحبة والتعاون والايتار ، لتبقى اواصر هذا المجتمع وثيقة . وقد عاش المسلمون في اسلامهم هذه الحقيقة في اجلي مظاهرها فترة من الزمن ، فكانوا قوة قهارة تمكنوا ان يديروا عجلة التاريخ بسرعة لا يكاد ان يقر بها الانسان لولا انه رأى وكانت افعالهم في تحاييهم وتعاونهم وايتارهم درساً انسانياً شاملاً ، فرض على العقل البشري منذ بروزه ضرورة حياته واحتياج المجتمع الانساني له لأنه درس وقانون ينبعث من داخل الانسان ذاته فلا يحوج العقل لأن يقف في قتاله متفكراً طويلاً ، ومن هنا يطل الاسلام في قوانينه الاجتماعية دعوة انسانية شاملة لم يعنى بالفوارق السطحية للبشرية .

— حقوقاً لم تعترف بها التشريعات الغربية إلا في السنين الأخيرة . واكن الغربيين كثيراً ما يقعون في خطأ اعتبار سلوك المسلمين المعاصرين ممثلاً للاسلام فيتهمون الاسلام بما هو برىء منه استناداً الى سلوك المسلمين المجاني للاسلام هذا مع ان الخلق بالعالم النصف ان يرجع الى التشريعات الاساسية لهذه المسائل .

الاضواء